[قلت: سبحان الله، كيف سمحت نفس الأشرف بهلاك رجل مسلم قد خدمه مدة سنين، وحفظ بلاده من السلاطين، وكسر جيوش المخالفين! وكان الأشرف يكون تارة بمصر وتارة بالشام، والحاجب علي يسوس الملك بتدبيره على أحسن نظام، وما خان الحاجب في درهم ولا دينار، ولا قصَّر في خدمة ربّه آناء الليل وأطراف النهار، ولكن حبه لدمشق هو الذي هون عليه هلاك الحاجب، وأنساه خدمة المشفق الصَّاحب][1].

ولما وصل الكتاب إلى أيبك رمى الحاجب في جُبّ، وأَخَذَ جميع ماله، وبَعَثَ إليه بجماعة من الأرمن، فخنقوه.

ولما فُتحت خِلاط عمد مماليك الحاجب إلى أيبك، فقطَّعوه، ثم اعتقل الأشرف أخا الحاجب في قلعة دمشق، واستأصله، ثم أطلقه، وسار الخوارزمي، فنزل في أعمال توريز.

وفيها مات الحِلِّي الشَّاعر[2]، [وقد ذكرناه لما أخذ المسلمون دمياط][1].

السنة الثَّامنة والعشرون وست مئة

في جُمادى الأُولى ذَكَرَ التَّقيُّ بنُ الصَّلاح الدَّرْس في المدرسة الشَّامية [التي وقفتها بنت حسام الدين[3] لاجين بن ست الشَّام على الشافعية بدمشق،] المجاورة لمارَسْتان نور الدين.

وفي رجب ذكر النَّاصح بن الحنبلي الدَّرْسَ في المدرسة التي أنشأتها ربيعة خاتون بنت أيوب بقاسيون، وحبس الأشرفُ [علياً][1] الحريريَّ بقلعة عَزَّتا.

وفي رمضان ساق التَّتر خلف [جلال الدين][1] خوارزم شاه من بلاد توريز، فانهزم بين أيديهم إلى دياربكر، وكان قد استحلف صاحب آمد متى قصده فَتَحَ له باب آمِد،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي، الحِلِّي الشاعر، أبو الوفاء، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٦٨ ، و«تاريخ الإسلام»: (وفيات سنة ٦٢٧هـ)، و«العبر» للذهبي: ٥/ ١٠٨ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٢٧٥ ، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٢٣ .

(٣) كذا قال، وهي الشامية الجوانية، والمشهور أن التي وقفتها ست الشام، انظر «الدارس»: ١/ ٣٠١ ، و«منادمة الأطلال»: ١٠٨ . وانظر ص٢٤١ من هذا الجزء.

وكان ظهراً له، فجاء إلى آمِد، فلم يفتح له الباب، ورموه بالحجارة من السُّور، فأخذ على وَجْهه وحدَه في أطراف الجبال، فوصل إلى قرية من أعمال مَيَّافارقين، فَقُتِلَ فيها، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وجاء التتر إلى باب مَيَّافارقين، وطلبوه، فقال شهاب الدين [غازي][1]: والله ما أعلم أين هو. فقاتلوا مَيَّافارِقِين أياماً، فلم يقدروا عليها، فعادوا إلى إسْعِرد، فقتلوا نيفاً وعشرين ألفاً، وأخذوا من البنات المُسْتحسنات ما أرادوا، وأحرقوها، وعادوا إلى خِلاط، وكانت بوادر الشِّتاء، ووصلت طائفة منهم إلى نَصِيْبين والجزيرة.

وحج بالنَّاس من دمشق شِبْلُ الدولة كافور العادلي.

وفيها قُتِلَ عِزُّ الدين أيبك الأشرفي بتوريز، وقيل: خنق في الجُبِّ كما فَعَلَ بالحاجب عليّ، رحمه الله تعالى.

بهرام شاه بن فَرُّخْشاه[2]

ابن شاهنشاه بن أيوب، الملك الأمجد، صاحب بعلبك.

[قد ذكرنا أن صلاح الدين][1] أعطاه بعلبك عند وفاة أبيه سنة ثمان وسبعين وخمس مئة، فأقام بها إلى سنة سبع وعشرين وست مئة خمسين سنة حتى حصره الأشرف وأخرجه منها، وساعده عليه شيركوه صاحب حِمْص، وكان في قلبه عليه أحقاد قديمة [كما يكون بين الأهل][1]، وكان المعظَّم يحبُّ الأمجد ويحترمه ويعظِّمه.

قال المصنف رحمه الله: ولقد رأيته يقبِّلُ يده، وكان يتعزَّز على الكامل والأشرف والنَّاس بالمعظم، فلما مات المعظم ثارتِ الأحقاد [3][البدرية، والأضغان المخفية، وقد ذكرنا أنهم] أخرجوه من بَعْلَبَك، وجاء إلى دمشق.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٢/ ٤٥٣، و«الحوادث الجامعة»: ١٩ ، و«العبر» للذهبي: ٥/ ١١٠ ، و«فوات الوفيات»: ١/ ٢٢٦ـ٢٢٨ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٠/ ٣٠٤ـ٣٠٧ ، و«شذرات الذهب»: ٥/ ١٢٦ـ١٢٧ .

(٣) في (ح): ثارت الأحقاد، فأخرجوه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

[[1]ذكر وفاته:

ذكر لي جماعة أنه] سُرِقَتْ له حياصة، لها قيمة، ودواة تساوي مئتي دينار، فاتَّهم بها بعضَ مماليكه، فظهرت عليه وخبَّأها عند بعضِ المماليك، فأخذ [المملوك][2] السَّارق، وحبسه في خزانةٍ في دار فَرُّخْشاه، وكانت الخزانة خلف الأمجد، وتهدَّد المملوك بقَطْع اليد والصَّلْب، فلما كانت ليلة الأربعاء ثاني عشر شَوَّال جلس على عادته بين يدي الخزانة التي فيها المملوك على الحال التي يجلس أمثاله عليها، وعنده عبَّاس ابن أخي الشَّريف البهاء الكاتب، وابن فهيد اليهودي المنجم، وبيده الإسطرلاب ليأخذ له الطَّالع، وكان يلعب مع عَبَّاس بما جرت عادتهم بلعبه، فقال له ابن فهيد: يا مولانا انظر إليَّ، فهذه ساعةٌ سعيدة، لو أردتَ أَخْذَ دمشق لأخذتَها، فقال له: لا تكلِّمْني، فقد تعين لي الغلب. وكان مع المملوك [الذي في الخزانة][2] سكِّينٌ صغيرة، فعالج زردة باب الخزانة قليلاً قليلاً، فقلعها، وهجم، فأخذ سيف الأمجد، وجذبه، وضربه [به][2]، فصاح: لا والكْ يا مأبون. والمملوك يضربه، فَحَلَّ كتفه، ونَزَلَ السَّيْف إلى بزِّه، ثم ضربه ضربة أُخرى، فقطع يده، وطعنه في خاصرته، وانهزم، فصَعِدَ إلى السَّطْح، فصَعِدُوا خلفه، فألقى نفسه إلى الدَّار، فماتَ، وقطَّعه الغِلْمان قِطَعاً، وغُسِّل الأمجد، وكُفِّن، وحُمل إلى تُرْبة أبيه التي على شرف الميدان الشَّمالي، فدفن بها.

وكان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، كاتباً، وله ديوان كبير[3] وكان جَوَاداً ممدَّحاً؛ مدحه خَلْقٌ كثير، وأجازهم الجوائز السَّنية، [وقد ذكرنا مدح النقاش الحلبي له، وكان صديقي، كنت إذا صعدت جبل لبنان للزيارة أجتاز ببعلبك، فيخدمني، ويحسن إليَّ، واجتمعت به عند الشيخ عبد الله اليونيني، وأنشد][2] من شعره:

كم يذهبُ هذا العُمْرُ في الخُسْرانِ ... ما أغفلني فيه وما أنساني
ضيَّعْتُ زماني كلَّه في لَعِبٍ ... يا عُمُر فهل بعدك عمرٌ ثانِ

(١) في (ح): «وجاء إلى دمشق، وسرقت له حياصة...»، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) طبع في بغداد بتحقيق ناظم رشيد، ثم أعيد طبعه في مصر سنة ١٩٩١م، بتحقيق د. غريب محمد علي أحمد.

وقال:

يا ليتهم عادوا إلى الأوطان كي تجتمع الأرواح بالأبدان
كم رام لي العذول عنهم بدلاً هذا غلط عمري قصير فاني

ورآه بعضُ أصحابه في المنام، فقال له: ما فَعَلَ الله بك؟ فقال: [من المديد]

كنتُ مِنْ ذنبي على وَجَلٍ زالَ عنِّي ذلكَ الوَجَلُ
أَمِنَتْ نفسي بوائِقَها عِشْتُ لمَّا مِتُّ يا رَجُلُ

[وكان الأمجد قد قتل ولداً له شاباً مليحاً، وقيل: خنقه، وقيل: بنى عليه بنياناً، وسنذكره في ترجمة العزيز عثمان بن العادل في سنة ثلاثين وست مئة][1]

خوارزم شاه جلال الدين[2]

واسمه تُكُش، وقيل: محمود بن محمد بن تُكُش، [سمعت الملك المعظم يقول: ليس هو من بني سلجوق، وإنما][1] هو من نسل طاهر بن الحسين، وجدُّه تكش هو الذي أزال مملكة السَّلْجوقية، وملك محمد أبو جلال الدِّين البلاد، وكان مآله [إلى ما ذكرنا][1] أَنَّه طلع إلى جزيرة، فمات بها، فقطع الخطا رأسه، وتمزَّقت ممالكه، وكان ابنُه جلالُ الدين هذا قد هَرَبَ إلى الهند، وعاد [منها][1]، فنزل على هَمَذَان، وقَصَدَ بغداد، وجعل طريقه على دقوقا، فقتل أهلها، [وقد ذكرناه][1]، ثم طلبه عسكره إلى تفليس، فسار على إربل، وعَزَمَ على حصارها، فصانعه ابنُ زين الدين، وعاهده أَنَّه من أصحابه، فجاء إلى بلاد الكُرْج، فاستولى عليها، وراسله المعظَّم باطناً بالملق الصوفي، وظاهراً بالركين مملوكه، [وجاء به][1]، فأنزله على خِلاط، وزوجه ابنته الكبرى، ويقال لها: دار مرشد، وجهَّزها جهازاً لم يجهزه ملك [لابنته][1]، واتَّفق موت المعظم، وأخذ خوارزم شاه خِلاط، وفعل فيها [ما فعل][1] وآخر أمره مجيء التتر خلفه، وأَنَّه انهزم إلى بلاد مَيَّافارقين، وتاه في الجبال، فوقع به فلاحٌ من قرية يقال

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) سبقت أخباره مفرّقة على السنين، وقد أفرد النسوي كتاباً في سيرته سمّاه «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» استوعب فيه أخباره حتى وفاته، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق حافظ أحمد حمدي سنة ١٩٥٣م، ثمّ نشر في موسكو سنة ١٩٩٦م بتحقيق ضياء الدين موسى بونياروف. وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٢٦ـ٣٢٩.

لها عين دارا، فرآه راكباً على سرج مرصَّع باليواقيت، وعلى لجام فرسه الجواهر، وسلاحُهُ مجوهر، فقال له: مَنْ أنتَ؟ فقال: خوارزم شاه. وكان عسكره قد قتلوا لهذا الفلاح أخاً، وقيل: إنه شره إلى ما كان معه، فأنزله، وأطعمه، ونام [عنده][1] آمناً، فضربه بفأس، فقتله، وأخَذَ ما كان معه، وبلغ شهاب الدِّين غازي، فأرسل إلى الفلاح، فأنكر، فقرره فأقَرَّ، وأحضر القوس والسِّلاح وقال: دفنته إلى جانب القرية. وكان طَرْخان خال الخوارزمي قد وصل إلى شهاب الدِّين، فأنزله في قصره، وأمر بحملِ الخوارزمي ليلاً من القرية، وقال لخاله: أبصر، هل هو هذا؟ فلما رآه بكى، وقال: نَعَمْ. فدفنوه ليلاً، وأخفوا قبره مخافة أن يُنبش.

[2]وبلغني في مقتل خوارزم شاه وجه آخر] ،أَنَّه لما كَبَسَه التتر خرج من الخيمة ليلاً، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وقصد مَيَّافارقين، وكان معه جواهرُ نفيسة، فبات بقريةٍ عند أرمن، فقال: أنا خوارزم شاه. وأعطاهم جواهر، وقال: احملوني إلى شهاب الدِّين غازي. فحملوه إلى سفينة، وكان تحته فرسٌ سرجه ولجامه ذهب مجوهر، وأنزلوه في السفينة، وبها رجلٌ كُرْدي كان خوارزم شاه قد قتل أهله، فضربه في صدره بحربة، فأخرجها من ظهره، فقتلوا الكرديَّ، وأخذوا ما كان على خوارزم شاه، وفرسه وحياصته، وكان فيها جوهرٌ عظيم، وألقوه في بئر، وبلغ شهاب الدين، فأرسل إليهم، فأخذهم، وأخذ ما أخذوه، وسألهم عن خوارزم شاه، فأخرجوه من البئر، فقتلهم شهاب الدين، وغَسَّله، وكفنه، ودفنه خارج ميَّافارقين تحت بُرْج الملك في جانب الميدان، وبلغ التتر فقصدوا ميَّافارقين، فعفَّى شهابُ الدين قبره.

وقيل: قتل سنة تسعٍ وعشرين [وست مئة][1]، ثم تفرَّقت عساكره أيدي سبا، [وكم فتك وقتل من المسلمين وسبى][1]، وزالت أيامه [وبقيت آثامه][1]، وكان كثيرَ الفساد، أهلك عسكرُه البلادَ والعباد.

[وحكى خالي أبو محمد يوسف][1] محيي الدين ابن الجوزي [قال][1]: بعثني الخليفةُ إليه في رسالةٍ، وهو على خِلاط، فدخلتُ عليه، وبين يديه المُصْحف، وهو

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) في (ح): وقيل، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

يقرأ فيه، ويبكي، فقلتُ: تقرأ في المُصْحف وتبكي، وأنتَ تفعل بالمسلمين ما تفعل، وقد قتلت في دقوقا عشرين ألف مُسْلم، وسَبَيْت نساءهم، وفعلت وفعلت! فقال: هذا عسكرٌ عظيم، مسيرة خمسة أيام، مالي عليهم طاعة ولا حكم، [ولا يلتفتون إليَّ][1]، ومع هذا، فإنَّه كان سدًّا بين المسلمين والتتر، [وسنداً لأهل الإسلام من التجار، كان يدفع التتر عن المسلمين، فلما هلك انفتح السد.

ولقد حكى لي][1] الأمير عماد الدين بن موسك [قال][1]: لما كُسِرَ الخوارزمي دخل العزيز عثمان وغازي وجماعةُ الأعيان، فهنؤوا الأشرف بالكَسْرة، فقال: تهنئوني بهذا! سوف ترون غِبَّ هذا، والله لتكونَنَّ هذه الكسرة سبباً لدخول التتر إلى بلاد الإسلام، ما كان الخوارزمي إلا مثل السَّد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج. فكان كما قال.

وكان الخوارزمي إذا لقي التتر اقتتلوا عشرة أيام بلياليها، يترجَّلون عن خيولهم، ويلتقون بالسيوف، واحدهم يأكل ويبول، وهو يقاتل.

وفيها توفي

المَجْد البَهْنَسي[2]

وزير الملك الأشرف.

من بيت الفَضْل والعلم، وكان [أبوه فاضلاً، كتب «شرح الحماسة» بخطه في ست مجلدات للتبريزي، والنسخة في وقف خانكاه السُّمَيْساطي، ليس في الشَّام أصح منها، وكان][1] المجد فاضلاً، وَزَرَ للملك الأشرف مُدَّة، لم يقطع رِزْقَ أحد، وكان حسنَ المحضر، عاقلاً، لم يكن فيه ما يعاب إلا استهتاره، والله يعفو عنه، وكان الأشرف قد عزله عن الوزارة، واستأصله، وأخذ جميع ماله.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو الحارث بن المهلب بن الحسن المهلبي، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٢٨٢ ، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

[(١)ولقد حكى لي المجد] في حران سنة ثلاث عشرة [وست مئة،](٢) قال: رأيتُ بين يدي القاضي علاء الدين الكردي قاضي قضاة الأشرف دواةً كانت لي أخذت مني في المصادرة، قيمتها ألف دِرْهم، وهي مكفتة بالذهب والفضَّة، فقلت له: أنت قاضي المُسْلمين، وتدَّعي الورع، كيف تستحلُّ تكتب في دواة غصب، وهي مكفتة بالذهب؟! فقال لي: السُّلْطان أعطاني إياها. فقلتُ: أعطاك مالي. فقال: ما يلزمني البحث عن هذا.

وكانت وفاة المجد بدمشق، ودفن بتربته التي أنشأها بقاسيون، ووقف عليها وقفاً، وأوصى بكتبه تكون بها.

المهذَّب بنُ الدَّخْوار، الطَّبيب(٣)

كان حاذقاً بعِلْم الطِّبّ، وما كان يرى في الدُّنيا غيره، وتقدَّم على الأطباء بدمشق، ومات بستة أمراض مختلفة، منها ريح اللقوة، ووقف داره وكتبه على الأطباء، ووقف عليها وقفاً، [وكان فاضلاً في علم الطب، وكان عاقلاً، يُقرَأ عليه الطب، وكان له بدمشق دار بظاهرها بستان، فوقف داره على من يقرأ فيها الطب، ووقف البستان عليها،](٢)، ودفن بقاسيون عند تربة بدر الدين الشحنة، [شرقي قاسيون](٢).

العماد المَحَلِّي، الفقيه الشَّافعي(٤)

كان مقيماً بالمدرسة الأمينية، وقيل: اسمه حسام بن غُزِّي بن يونس، [وإنما اشتهر بالعماد](٢).

وكان فاضلاً، حافظاً للحكايات والأشعار والنَّوادر، وكان لا يأكل لأحدٍ شيئاً، وإذا حضر وليمة كان زاده في كُمِّه ولو أنه عند السُّلْطان، وكان على وسطه ألفُ دينار لا تفارقه [أبداً](٢).

---

(١) في (ح): قال المصنف، فحكى لي في حران...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) هو عبد الرَّحيم بن علي بن حامد الدمشقي، له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢١-٢٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٠٣، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٢٤ ـ وفيهما وفاته سنة (٦٢٩هـ) ـ وهو الصحيح ـ وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

[حكى لي][1] قال: دخلتُ ليلةً إلى العادل في قلعة دمشق، فخلع عليَّ خِلْعة بطَيْلَسان، فخرجت في الليل، وإذا بنفَّاط قائم، وبيده مشعل، فلما رأى طيلساني ظنَّ أنني القاضي، فمشى بين يدي بالمشعل، فمشيتُ إلى باب البريد أريد الأمينية، فلما وصلتُ إلى دار سيف أخذتُ الطَّيْلسان، فجعلته في كُمِّي، وقصَّرت في المشي، فالتفت النفَّاط، فما رأى الطَّيْلسان، فقال: يا سيدي أين مشى القاضي؟ فأشرتُ إلى ناحية مدرسة نور الدين، وقلتُ: داره عند المدرسة. فمضى عني، وخلصت منه [ودخلت الأمينية][1].

وكانت وفاته في ربيع الآخر، ودفن عند مقابر الصوفية.

وقيل: مات سنة تسع وعشرين.

شمس الدين بن اسفنديار الأمير

[كان خازناً في قاسيون، و][1] كان كيِّساً، متواضعاً، حَسَنَ العِشْرة، كريم الأخلاق، مليح الصورة، جَوَاداً، من بيت مشهور، وكانت داره مأوى الفضلاء والعلماء والفقراء والأعيان، ودفن بتربته بقاسيون المجاورة لتربة ابن تميرك.

جمال الدَّوْلة بن زويزان[2]

رئيس قصر حَجَّاج.

كان كيِّساً، متواضعاً، صاحب مروءة وعصبية، وله صدقاتٌ في السِّرِّ، ودُفِنَ بتربته عند مسجد فلوس.

السنة التَّاسعة والعشرون وست مئة

فيها عاد التتر إلى الجزيرة وحران، ووصلوا إلى جسر بدايا، فقتلوا وأسروا، وسبوا، وخرج إليهم عسكر حَرَّان، فما رجع منهم إلا القليل، وخرج الكامل

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هو خليل بن إسماعيل بن علي بن علوان بن زويزان، له ترجمة في «تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦٢٨هـ).